باب المراسلة والمناظرة

حول عقيدة اشنجلر

صديقي الفاضل محرر المقتطف : اطلعت في مقتطف يوليو على ما كتبهُ الاستاذ السيد أبو النصر احمد الحسيني الهندي ، ردًّا على كلمتي في مقتطف ابريل ، وأرجو ان يتسع صدر المقتطف لنشر الكلمة الآتية ابقياً على ما كتبهُ الاستاذ وتوفية للبحث واستجلاء للحقيقة

المصدر الوحيد الذي اعتمدت عليه في تقرير يهودية اشنجلر هو الفقرة الواردة في المقدمة التي كتبها ريشارد كالرجي لكتاب أبيه الكونت هنري كالرجي كما سبق أن أوضحت ذلك، وريشارد كالرجي من أسرة نمساوية عريقة ، والمقال الذي عرض كتاب الكونت كالرجي كُتب بالالمانية ونشر في جريدة نمساوية وترجمتهُ بعد ذلك مجلة العصر الحي الاميركية ، وبديهي ان ترجمة المقال من الالمانية الى الانجليزية لا تجرده من الجنسية الالمانية أو النمساوية ولا تجعله انجليزيًّا أو اميركيًّا أو يهوديًّا ، فالمصدر الذي اعتمدت عليه اذاً ليس انجليزيًّا ولا اميركيًّا ولا يهوديًّا كما زعم الاستاذ وانما هو مصدر نمساوي ونمساوي صميم لا غبار على نمساويته ، وسبيل إنصاف هذا المصدر أو التشكيك في صحته إما أن تكون باظهار الخطأ في ترجمة الفقرة واثبات أن اسم اشنجلر أقحم فيها اقحاماً وذلك بالرجوع الى الكتاب نفسه الذي وضعهُ الكونت هنري، او بنقض ما ذهب اليه ريشارد كالرجي ، وريشارد كالرجي شخصية نمساوية بارزة ومؤلف محترم المكانة ثاقب الرأي السامي الفزعة ، وأظن انهُ من المستحسن أن ترد كلامهُ ونفي رأيهُ برأي رجل آخر يعادله في المكانة الأدبية والسمة الفكرية أو يفوقه ، وأصارح الاستاذ الحسيني وحضرات القراء أني عند ما راجعني حضرته في يهودية اشنجلر تسرَّب اليَّ الشك لاني كنت أحب لنفسي ان أكون قد اعتمدت في ذكر يهوديته على مصادر عدة — لا على مصدر واحد — شأني في تحقيق أكثر ما أكتب — وذلك مع تقديري لصعوبة الحصول على المراجع في مثل هذه المسألة الدقيقة لان أكثر الكتاب اليهود يغفلون الاشارة الى يهوديتهم، والكثيرون ممن يكتبون عنهم لا يعنون بهذه الناحية ، وقد وددت أن يكون عند الاستاذ الحسيني الخبر اليقين الذي يقطع الشك ، والحجة الدامغة التي تجلو الحق ، ولكن الاستاذ لم يحقق أمنيتي . فالاستاذ مثلاً يستدل على ان اشنجلر ليس يهوديًّا بأن حضرات زملائه اساتذة الجامعة الذين عاشوا في المانيا سنين وتخرجوا في معاهدها أنكروا ذلك. ولست أطيل مناقشة هذه الحجة ، ويظهر أني في حاجة الى بعض البساطة المقدسة لأسيغها ، وحاول الاستاذ كذلك التشكيك في يهوديته لانهُ «عاش في المانيا في زمن بلغ اضطهاد اليهود فيه ذروته ولم يحتفظ لهم بجناح الرحمة » . كأنهُ كان

يريد من اشتجار ان يعيد تمثيل دور موسى الكليم ويتحدى فرعون العصر الحاضر ويقود يهود المانيا الى ارض الميعاد ليثبت يهوديته ، وأنا اعرف ان الاستاذ الحسيني يدّعي لاشتجار «قوة البصيرة ودقة التفكير» . ومع أعرف بعد انهُ بعزو ابيه البطولة وحب التضحية والاستشهاد؛ فاذا كان بعد فيه هذه المناقب العالية والصفات الحميدة فليتولَّ حسابه لتقاعده عن نصرة قومه وهو على أي حال ليس اول ولا آخر من آثر العافية وطلب السلامة وسار في ركاب الاقوياء ، والاستاذ الحسيني نفسه قد وصف اشتجار بأنهُ من دعاة « البروسية » وأمثال هؤلاء الدعاة يجدون مظاهر الجفوة والخشونة والاضطهاد والقسوة ، والرحمة عندهم خورٌ في الطبيعة

وقد كانت العبارة التي اختارها الأستاذ الحسيني للتعبير عن رأيه في نفي اليهودية عن اشتجار في كلمته الأولى تضطر الانسان الى ان يفهم انه ينتقص العقلية اليهودية وقد استصوبت في الرد على ذلك ان اذكّره بالفيلسوف اليهودي العظيم باروخ اسبنوزا فاستخلص الأستاذ من ذلك اني اعتقد بأن هناك تقارباً بينهما في التفكير وأخذ يرشدني الى ما بينهما من خلاف وقد اتعب الأستاذ نفسه فاني لم اكن أجهل ما قاله وأشكر لهُ على أي حال تحرّيهُ

ويرى الأستاذ ان بعض المفكرين ينكر تأثير اسبنوزا في جيتي كبير شعراء الألمان ، وقد رجعت فيما ذكرته عن تأثره باسبنوزا الى نصوص واردة في كتابات ريتان وماثيو ارنلد وادوارد كيرد وجورج ساتايانا وربيه برتلو ووليم شيرر ووليم جيروسلم وهارولد هفدنج ووندلباند . فجورج ساتايانا يقول مثلاً «حقيقة كان جيتي طوال حياته تلميذاً لاسبنوزا[1]» والأستاذ جيروسلم يقول «كتاب الأخلاق لاسبنوزا اثر تأثيراً عميقاً في هردر وجيتي وشلنج وهجل[2]» ووندلباند يقول في صفحة ٥٩٧ من الترجمة الانجليزية لكتابه القيم في تاريخ الفلسفة «لقد أثر اسبنوزا تأثيره القوي في عقول الناس لانهُ كان يرى الطبيعة — دون ان يستثني الانسان — وحدة متصلة مترابطة يتكشف فيها الموجود المقدس في تمام كماله وقد اقتبس جيتي هذا التصور فأصبح له منزلة خاصة في تموّ الفكر الألماني » وتحدث جيتي نفسه في احدى رسائله عن اسبنوزا فقال «الرجل الذي أثر فيَّ تأثيراً قويًّا والذي كان مقدراً ان يؤثر تأثيراً عميقاً في طريقة تفكيري جميعها هو اسبنوزا[3]»

ويرى الأستاذ الحسيني ان فلسفة اسبنوزا تعد «الى مدى كبير صدى الفلسفة العربية الاسلامية» وكنت احب ان يكون الاستاذ اكثر دقة من ذلك فان استعمال لفظة «صدى» هنا لا تخلو من استهانة لفيلسوف سامي الشأن مثل اسبنوزا ، وهي تقلل من طرافته التي أعترف بها كبار مؤرخي الفلسفة ، وقد تأثر اسبنوزا[4] بالآداب العبرية ودراسة التلمود واطلاعه على مؤلفات علماء اليهود

(١) راجع صفحة ١٣٩ من كتاب ساتايانا Three Philosophical Poets. (٢) راجع صفحة ٢٠٠ من كتاب جيروسلم Introduction to Philosophy (٣) راجع صفحة ١٧٦ من كتاب لويز The Libe & Works of Goethe (٤) راجع صفحة ٥٤٨ من كتاب رويرت فلنت Anti-Theistic Theories

(١) الملكة هيلين ملكة رومانيا الوالدة (٢) الملكة الزابيث اليونانية (٣) الأميراطورة زيتا (٤) الملكة جيرالدين ملكة البانيا (٥) الملكة فكتوريا ملكة أسبانيا السابقة (٦) الملكة ثريا ملكة افغانستان السابقة (٧) الأميراطورة هريين الزوجة الثانية لهيليم الثاني (٨) الملكة اميليا البرتغالية (٩) الملكة رامبا يارني ملكة سيام السابقة